نيتشــه والحضــارة

المدرسة المساعدة
سنا صباح ال خالد
كلية الاداب – جامعة البصرة

يعد موضوع الحضارة من الموضوعات المهمة التي دأب المؤرخون والفلاسفة على دراسة الحضارات التي ظهرت في مختلف المجتمعات ، وسعوا لمعرفة أسباب ظهورها وتطورها وتحديد عوامل ضعفها وإفولها ، وتسألوا عما هو جهد فردي أم جهد جماعي فيها وهل قامت على أساس التقدم المادي أو الروحي أم هي حصيلة لهما ، وسعوا أيضا لمعرفة الحقائق الكلية التي تساهم في وضع قوانين لفهم تاريخ الإنسانية والتنبؤ بمستقبلها والقوانين الكلية التي تتحكم في نشوء الحضارات . ولذلك فمن المهم أن نقدم نبذه مختصرة عن مفهوه الحضاره ونشوئها ؟قبل التعرف على موقف نيتشه منها.

أولا//مفهوم الحضارة

أن مصطلح الحضارة واسع الاستخدام عند المؤرخين والأنثروبولوجيين(علماء الإنسان) والعاملين الآخرين في العلوم الاجتماعية٠ ولكن بالرغم من ذلك لا توجد مفرده ثابتة لمعناها .ولقد تعددت التعريفات المقدمة لمصطلح الحضارة ،فالموسوعة الامريكيه قدمت معاني عدة لمصطلح الحضارة جاءت من استخدامها المعتاد ،فهي أحيانا تشير إلى الحالة التي يمتلك المواطن فيها الأسلوب الصحيح في ضبط النفس ، كما في مصطلح ((الرجل المتحضر تماما)) فهذا هو المعنى الأصلي لهذه المفردة ،ولقد دخلت أولا في الفرنسية في القرن الثامن عشر وقد ادخلها الكتاب إلى الفرنسية مثل فولتير .وقد توسع معنى الحضارة ليشمل النمو خلال وقت معين في المعرفة والمهارات. وهذه شجعت للرجل البلوغ السلوك المتحضر (١)وأيضا يمكن النظر إلى كلمه الحضارة إلى أنها

استخدمت لتصف حاله محددة من التحول والتطور الاجتماعي ، فمصطلح الحضارة قد توسع معناه اكثر من السابق (٢) أي أن اثر مصطلح الحضارة شمل العديد من الدلالات .ويمكن النظر إلى كلمه الحضارة على أنها اشتقت من الوضع الاجتماعي الواقعي للمواطنين أو مقارنه مجتمع بربري بمجتمع أخر (٣)

أما المفكر الأمريكي هنتغتون في كتاب (صدام الحضارات)يعرف الحضارة بأنها ((كيان ثقافي في أوسع معانيه٠٠٠ أو هي أعلى تجمع ثقافي للبشر وأوسع مستوى من الهوية الثقافية يكاد يكون شعب ما قد وصل إليها والتي تميز بني البشر عن الأنـــواع الأخرى)) (٤)

ولم يكن التباين في تعريف كلمة الحضارة فقط بل أيضا إن كلمة الحـــضارة تباينت في لغات العالم الأوربي فهي لم تستخدم بالمعنى ذاته في معظم اللغـــات إذ كـــان هناك خلط بين كلمـــة حـــضارة Civilization وثقافـــة culture وإن تـــاريخ كلمـــة civilization يشير الى أنها إستخدمت حتى فترة قريبة بنفس المعنى المفهوم من كلمـــة kultur **– أي تطور الإنسان الى مرحلة من التنظيم الأعلى والى مـــستوى أخلاقـــي أسمى . فبعض اللغات تفضل إستخدام أحدهما ، وبعضها الآخر يفضل إستخدام الأخـــرى فالالمان يستعملون عادة كلمة kultur ، أما الفرنسيون فيستعملون كلمة civilization ، كما يرى اشفيستري ان ليس ثم مبرر ، لغوياً ولا تاريخياً ، لوضـــع تفرقـــة بـــين كـــلا المصطلحين وإننا نستطيع فقط التفرقة بين حضارة kultur إخلاقية وحضارة لا إخلاقية (٥) إذ إن كلاهما يعبران عن ارتفاع مستوى التنظيم والمستوى الأخلاقي مقارنة بالمناطق المجاورة لها في الفترة الزمنية ذاتها ، وهنا سنلاحظ كيف أتفق نيتشه مع اشفستري فـــي أثر العامل الأخلاقي في نشوء الحضارة ، إلا أن الاختلاف بينهما أن نيتشه كـــان يؤكـــد على الأخلاق المتمثلة بالقوة والقسوة والقهر للمنافسين ،وقد طرح الفيلسوف الألماني كانت kant فكرة علاقة الحضارة بالأخلاق أيضاً وأكد أنها ضرورية للحضارة .أما معنى كلمه حضارة فيرى نيتشه أن معنى كل حضارة من الحضارات هو بالضبط تـــدجين الأوابـــد البشرية ليجعل منها ،عن طريق تربيتها،حيوانات طيعة متمدنة (٦)أو هي الترويض الذي يحتاج كل أنواع الحديد والتعذيب ضد فضاعة ووحشية طبيعة الفريسة (٧)

ثانيا // نشوء الحضارات :

تعددت النظريات في نشأة أو تكون الحضارات فبعضهم أرجعها الى التقدم المادي وحده وآخر الى التقدم المادي والروحي أما نيتشه فقد كان تصوره مختلفا لخط سير الحضارة ، ففي البدء يرى أن هنالك أمور عديدة منها الصراع من أجل البقاء وهو ليس العامل الوحيد لتفسير التقدم (٨)بل هنالك عنصرين آخرين أولهما إرتباط التقدم الفكري لدى جماعة ينتمون الى عرق واحد يمتاز أفراده بعقلية جماعية حيه ، تكونت من تماثل كبرى مبادئها المعتادة وغير القابلة للنقاش لأن هذه المبادئ تشكل إعتقادهم الجماعي وتقوى هذه الوحدة لدى هذه الجماعة بالمبادئ والتفكير ، وبالتأكيد تقودهم الى الثبات لإشتراكهم بها وهي بالتأكيد لا تقوم باي تقدم لهذه الجماعات بل العكس فالثبات يلازم البلد دائماً كظله وهذا البلد وبمرور الزمن تقويه الوراثة وبشكل تدريجي (٩) . أي أن العنصر الأول للتقدم هو الثبات في المبادئ والتفكير فيصبح كل ما اتفقت عليه المجموعة هو الصواب وكل ما خالفه هو الخطأ وهذا الثبات كما قلنا سابقاً سيؤدي الى البلد .

أما العنصر الثاني للتقدم فيقوم على ظهور الضعف إذ يؤدي الثبات في مجموع القوى الى البلد ويؤدي البلد الى الضعف والى ظهور جروح جزئية فيها (١٠) وهنا سيتوقف التقدم الفكري لهذه الجماعات على الأفراد المستقلين الطلقاء الضعفاء إخلاقياً ، فهم وحدهم القادرون على القيام بمحاولات جديدة . وعدد لا يحصى من أفراد هذا الصنف يهلكون بسبب ضعفهم الا إنهم حين ينجبون ، فسوف يحدثون شروخاً في إنسجام المجموعة ، ومن حين لآخر يقوموا بتوجيه ضربة الى عنصر الثبات فيها (١١)، والذي هو مجموع القيم التي تعد أساساً لقوة ربط أفراد المجموعة والتي تتوحد فيه إعتقاداتهم ، وتؤدي هذه الضربات المتكررة من هؤلاء الأفراد لعنصر الثبات الى جرحه وجعله واهن في موقع الجرح أو الوهن يتم بث عنصر جديد في مجموع الجسد الذي تدخل فيه هذه العناصر في دمه وتتمثله ، فالتقدم لابد أن يسبقه ضعف جزئي ، فالطباع القوية تحافظ على النوع والطباع الضعيفة تسهم في تطويره (١٢) وهنا نجد نيتشه لأول مرة يشيد بالضعف إذا كما أعتدنا مع فلسفة نيتشه فلسفة القوة الداعية الى القضاء على الضعفاء وتدميرهم والسير على أشلائهم نجده يجعل من الضعف حافز للتقدم .

وكما يساهم الضعف في تقدم المجموعة فهو أيضاً يساهم في في تقدم الفرد ويقدم نيتشه أمثلة على إمكانية الطبع الأضعف فهو أكثر دقة وحرية ، وهو الذي يجعل التقدم ، كيفما كان نوعه ممكناً فالشعب الذي يبدأ لديه التقرح والضعف في موضع ما وهو يبقى في الوقت ذاته سليماً في مجموعة قادراً على تحمل عدوى الجديد والإستفادة منها من خلال تمثل لهذا الجديد وإمتصاصه (١٣) أما الضعف الذي ساهم في تقدم المجموعة فيرى نيتشه أنه يتجسيدٍ في شعب إسرائيل إذ يرى نيتشه إن هذا الشعب عن طريق المخلص (المسيح) عن طريق هذا الخصم الوهمي الذي بدا وكأنه يريد تشتيت إسرائيل – الى تحقيق أهدافهم (١٤) ، أي في سيادتهم مرة أخرى فبعد أن دب الضعف والوهن فيهم إتجهوا للحصول على السيادة والسلطة عن طريق دعوة السيد المسيح الذي كان يدعو للرحمة والنصر للفقراء والمرضى والخطاه ، وهكذا عادوا للسيادة فقد عادة الجماعة الذي بدأ الضعف يدب إليها لتكون أقوى .

والى جانب هذه العوامل فإن من الآراء الشائعة لنشوء الحضارة إنها تولد في البيئات التي تتيسر فيها ظروف المعيشة الجيدة للإنسان (١٥) . أما بالنسبة الى نيتشه فهي على العكس فإن ظروف الطبيعة القاسية وتحدياتها هي التي تحفز الإنسان على العمل والخلق والإبداع ، فطريق الحضارة يفتح بواسطة قوة أكثر همجية ، يكون عملها الهدم في البداية ، ولكن بالرغم من ذلك فعملها ضروري كي تشيد الحضارة ، وبالرغم من أنهم يسمونهم شراً ، ألا أنهم هم مهندسوا الإنسانية ومعماريوها ورواد السيكلوبيون*** (١٦) فهؤلاء العمالقة بالرغم من كونهم شراً ، إلا أنهم هم الذين يعبدون الطريق أمام الحضارة ، فالشر والقسوة والعنف التي يتصفون بها هي التي تساهم في بناء الحضارة . وهي صفات عبقري الحضارة ، فلو أردنا أن نتخيله فستكون طبيعته وأدواته هي الكذب والعنف وأشد الأنانية فظاظة ونحن نقول عنه أنه كائن شيطاني وشرير ، لكن نواياه ، التي تشف هنا وهناك ، نبيلة وحسنة : إنه سنتور ، نصفه حيوان ونصفه إنسان ، وأيضاً له زيادة على ذلك أجنحة ملاك في الرأس (١٧) . ولهذا فأن أهدافه نبيلة وهي بناء حضارة بالرغم من سلوكه الشرير والعنيف والفظ إلا أنه في طياته يحمل خيرا كثيرا ، وإن سلوكه القاسي العنيف إزاء الضعفاء هو الذي يولد لديهم قوة تسعى للسيطرة والتفوق وهذا الشعور هو الذي يقودهم نحو التقدم والتحرر من واقعهم .

إن هذه العوامل أو العناصر التي جعلها نيتشه أساس نشوء الحضارات تقترب كثيراً من نظرية توينبي في نشأة الحضارة فقد قدم العديد من العوامل أو المحفزات لنشوء الحضارات في نظرية التحدي والإستجابة والتي تتفق مع رأي نيتشه وأولهما بأن الحضارة يمهد لها العمالقة أو الأقوياء الأشرار ، الذين يحفزون الضعفاء على العمل وبناء الحضارة بالضغط وإضطهاد الضعفاء . أما توينبي فيسميه حافز القصاص (النقم) ، فحافز القصاص يولد شراره الحضارة فالجماعة التي تتعرض للعقاب أو القصاص من جانب جماعة أخرى مسودة ، تحاول التعويض كما أصابها من خطر بإبتكار أساليب جديدة لغرض وجودها وإثبات كيانها ، تماماً مثلما يحدث في حالة الإنسان الفرد الضرير الذي يجاهد حتى ينجح في تعويض النقص الذي يعانيه بتنمية حواس أخرى كاللمس والشم والسمع (١٨) وهنا يقول توينبي : " عندما تقع نقمة على عضو حي وحده دون الأعضاء الآخرين في نفس نوعه ، وذلك بفقد القدرة على إستخدام عضو معين في الجسم أو ملكه معينه ، يصبح في مكنته الإستجابة الى هذا التحدي بالتخصيص في إستعمال عضو أفراد ملكه أخرى ، حتى يبرز لأقرانه في ميدان النشاط الجديد هذا ، ليعوض قصوره ، في الميدان الأول . ففي مكنه العميان مثلاً ، تنميه شعور حساسية اللمس لديهم أكثر مما يتفق مع المبصرين " (١٩) فالإنسان الأعمى عندما حرم من نعمة النظر نراه يسعى إلى تركيز طاقاته في ميدان آخر غير البصر وهنا سنجد تفوقه وإبداعه يظهر في ميدان آخر ليعوض النقص أو فقدانه لحاسة البصر .

ويعرض توينبي أمثلة على ذلك بقوله :" المحنة التي يمر بها الأعمى أو الأعرج في مجتمع بربري والذي يطلب من الرجل العادي أن يكون محارباً وهنا يقوم الأعرج بصنع الدروع والسلاح لأقرانه وهو بهذه الصناعة يدفعهم الى الإعتماد عليه فيصبح مثل فولولكان الأعرج وهو من آلهة الأساطير عند الرومان يختص بصناعة الحديد ، أما الأعمى فهو يستعمل يديه في العزف المصاحب للغناء أو يستخدم عقله في قرض أشعاره في أعمال البطولة وهو هنا يصبح وسيلة للخلود يتوق إليها المحارب البربري عن طريق الشعر " (٢٠) .

وهذا ما قاله نيتشه قبله :"إذ يندر أن يكون هناك تدن أو بتر ، بل عيب ، وبشكل عام ، قصور جسدي أو معنوي دون أن ترافقه فائدة ما في موضوع آخر . في عرق

محارب ومهتاج قد يكون للرجل المسقام ، مثلاً ، فرص أكثر ليعيش على الهامش ويكتسب فيه كثيراً من الهدوء ومن الحكمة ، ستكون للأعور عين تظل قوية ، ستكون للأعمى رؤية أعمق للحياة الباطنية وسمع مرهف " (٢١) فالإنسان عندما يفقد حاسة يكون في حالة تحدي وتبقى الإستجابة متوقفة على الفرد فقد تستجيب لهذا التحدي بأن يطلق مواهبه في مجالات تجعله يقدم إنجازات عظيمة ، فبتهوفن بالرغم من صممه إلا إنه قدم سمفونيات عظيمة ، ونيتشه بالرغم من مرضه إلا إنه قدم فلسفة أثرت في معظم المذاهب الفلسفية المعاصرة . ولقد وضع نيتشه منهج تربوي للأفراد يسير بمقتضاه المربين بأن يجعلوا الأفراد في وضع آمن وقوي ، بل لن يحيدوا عن الطريق المرسوم لهم ، وسيكون على المربين أن يصيبوهم بجروح ، وأن يستفيدوا من الجروح التي أصابهم بهما القدر ، وما إن يولد الألم والحاجة بهذا الشكل فسيكون بالإمكان أن يبث فيه عنصراً من الجدة والنبالة ومن خلال جروحه وندوبه سيمتص طبعه ذلك العنصر كله ويجعل رائحة نبالته تفوح في الثمار التي سيثقل بها لاحقاً.(٢٢)

فنظرية توينبي في التحدي والإستجابة تؤكد على فكرة وجود قوة مسيطرة وهي تقوم بالضغط على القوة الأضعف أو المسيطر عليها وتبقى الإستجابة للضغط الذي توجهه القوة المسيطرة على القوة المسيطرة عليها مختلفة فقد تكون الإستجابة إيجابية فتجعل من الأضعف أقوى وقد تكون الإستجابة سلبية فتجعله أكثر ضعفاً . ويقدم توينبي مثال من تاريخ الحضارات وهي الحضارة المصرية والسومرية فبعد نهاية العصر الجليدي بدأت المنطقة الإفراسية(الصحراء الكبرى والصحراء الغربية) تكابد تغيرا في أحوالها الطبيعية إذ بدأ يصيبها الجفاف وقد أعتبر جفاف افراسيا تحدياً (٢٣) للأفراد الذين يعيشون على هذه الأرض ، وقد كان إستجابتهم لهذا التحدي بالشكل التالي :"أن يختاروا أحد الإمور الثلاث أما التحرك نحو الشمال أو الجنوب مع صيدهم متبعين المنطقة المناخية التي الفوها أو البقاء في موضعهم والحياة حياة تعسة مكتفين بما يصيدونه من الحيوانات التي قد تقاوم الجفاف أو يستطيعون من غير أن يهجروا مواطنهم الجديدة تحرير أنفسهم من الإعتماد على إحتمالات بإستئناس الحيوانات وفلاحة الأرض " (٢٤) وهنا اختلفت الاستجابات لدى هؤلاء الأفراد فبعضهم أثر التنقل الى منطقة جديدة وكانوا هنا أمام تحدي جديد ، وأخرى آثرت البقاء والحياة حياة صعبة .. أما المجموعة الأخيرة

وهي أفضلها فهي جابهت التحدي بأن عملوا على تجفيف المستنقعات وإستصلاح الأراضي من أجل الإستفادة منها في الزراعة فنجحوا في إقامة الحضارة المصرية (٢٥) وإن هذه الإستجابة التي قامت بها القوة المسيطر عليها أي المجموعة جعلتها تتحول من قوة مسيطر عليها الى قوة مسيطرة فقد إستطاعت هذه المجموعة الأخيرة بناء حضارة والتحكم نوعاً ما بظروف معيشتها بعد أن كانت عرضة للتغيرات والإنقلابات المناخية ، ونحن نجد هذه الأفكار قد طرحت في فلسفة نيتشه مع اختلاف بسيط فقط يعرض نيتشه في فلسفة للقوى المختلفة (القوة الفاعلة والإرتكاسية) وصراعاتها ، وكيف تتناوب في السيطرة .

عندما يبحث نيتشه في موضوع الحضارة يطرح مفهوم الفكر الحر والفكر المستعبد وأثرهما في تكوين الحضارة ، ويطرح كيف ينشأ الفكر الحر والفكر المستعبد . ففي البداية يصف نيتشه الفكر الحر بأنه ذلك الذي يفكر بطريقة مخالفة لما كنا ننتظره منه بسبب أصله ، وسطه ، حالته ، وظيفته ، أو بسبب الآراء السائدة في عصره ، فهو يعد إستثناء ، والمفكرون المستعيدون هم القاعدة ، وعادةً تكون علامة تفوقه وذكائه مكتوبة على وجهه ومقروءة بوضوح شديد ، بحيث يستطيع المفكرين المستعبدين إدراكها جيداً (٢٦) ويشبه نيتشه المفكر الحر كجبل الجليد الذي يوجد في المناطق الإستوائية ، فبالرغم من إن الشمس ترشق بحار المناطق الإستوائية بحرارة ونيران قوية ، فكذلك المفكر الحر فهو يبقى ثابتاً في أشد الأماكن اضطرابا. (٢٧) ولذا يرى نيتشه بضرورة الأخذ بالحقائق التي يتوصل إليها ، حتى لو كنا لانتفق مع دوافع البحث للمفكر الحر أو كيفية الحصول على تلك الحقائق فمن الضروري قبولها إذ أدت هذه الأسباب الى بقاء الآخرين حتى اليوم متعلقين بالخطأ بدافع أخلاقي ، وهذا لايعني أن من طبع المفكر الحر أن تكون له آراء أكثر صحة . بل أن ما هو من طبعه هو التحرر من التقاليد . وسواء نجح أو أخفق ، فأن الحقيقة ستكون بجانبه رغم ذلك ، أو على الأقل هو يكون في دأب للبحث عن الحقيقة (٢٨) وأيضاً هذا يكون هدف المفكرين المستعبدين ولكن الفرق أن المفكر الحر إستطاع التخلص من كل التقاليد التي تعرقل وتقيد البحث الناجح ...

أما الفكر المستعبد أو المفكرون المستعبدون فيحلل نيتشه التكوين الداخلي لعقولهم فيرى أنهم لا يختارون لهذا السبب أو ذاك ، بل يختار بفعل العادة ، أي أن

إختياراته قائمة على ما أعتاد عليه ويطرح نيتشه مثالاً فالعقل المستعبد مثلاً إختار أن يكون مسيحياً ليس لأنه تفحص الديانات المختلفة وأختار من بينها المسيحية ، ولم يختر ان يكون إنجليزياً ، لأنه إنحاز إلى جانب إنكلترا ، بل أصبح مسيحياً وإنكليزياً لأنه وجدهما قريبتين منه فتبناهما ، مثلما يصير من ولد في بلد الكروم شارباً للخمر لاحقاً (٢٩) فالإنسان يبقى على الدوام إبن بيئته ، فهي التي تجعل منه هذا الشخص أو ذاك ، ففي المكان الذي يحرم فيه الشعر لن يكون هناك شاعراً عبقري ، ولذلك فإن العقول المستعبدة تبقى إختياراتها للأشياء قائمة على ما تعودت عليه وآمنة به ، وهي تأتي بأسباب إختيارها بعد أن إختارت لتؤكد صحة إختيارها ، فهي دون أن تدرك ذلك تؤكد وتعزز القيم التي نشأت عليها مهما كانت صحيحة أو خاطئة.

فالعقل المستعبد غالباً لا يستطيع إعطاء مبرراً لإختياراته ، ويقدم نيتشه دليلاً بقوله :"لنجبر ، على سبيل المثال عقلاً مستعبداً على الإتيان بأسباب ضد الزواج من إمرأة ثانية وسنرى جيداً إذاك إن كان تحمسه المقدس للزواج بواحدة يرتكز على حجج أو فقط على الإعتياد . والإعتياد على مبادئ فكرية مجردة من الحجج هو بالضبط ما نسميه إيماناً " (٣٠) فالإيمان هو الذي يدفعنا الى عدم البحث عن الحجج فكل شيء يدخل في حيز الإيمان يصبح من البديهيات التي ليست بحاجة الى برهان يؤكدها . لذا فإن مصدر قوة كل نظم المجتمع ودوامها يستمد من إيمان العقول المستعبدة ، إذ إنها ترفض البحث والتحري عن الحجج ، وهذا ما كانت تؤكد عليه المسيحية أيضاً ، إذ تطلب من الناس الإيمان ولا شيء غير الإيمان ، فقد رفضت بغضب طلب الحجج ، وكانت تشدد على نجاحات الإيمان : وإنهم يشعرون بميزة الإيمان إذ بواسطته تأتيهم السعادة ، وليس الكنيسة وحدها بل حتى الأب ينشأ إبنه بنفس الطريقة : فيقول له إعتبر هذا حقاً وسترى كم هو نافع .(٣١) وليس الكنيسة والأب وحدهم بل إن كل سلطة تستخدم الإسلوب ذاته لتؤكد وتثبت سلطتها .

وكما قلنا سابقاً إن التعود من الإمور التي تساهم في تكوين العقل المستعبد إلا إن هذا التعود يعتمد بشكل أساسي على عامل الزمن فالشخص الذي لا يملك الثلثين من يومه يعد عبداً ، حتى لو كان رجل أو بائعاً أو موظفاً أو عالماً ، فقد يكون هؤلاء رجال نشيطون لكن ليس نشاط راقي ، فهم يتصرفون بوصفهم موظفين ، أو تجاراً أو علماء ،

أي بصفتهم متمثلين لصنف وليس كأفراد لهم فردانية محدده المعالم جيداً ، فهم بهذا الجانب كسالى ويرى نيتشه أيضاً إننا لن نستطيع أن نسأل الموظف البنكي الذي يدخر المال في المصرف من نشاطه المحموم فنشاطه ليس وراءه أي سبب فالرجال النشيطون يتدحرجون مثلما تتدحرج الصخرة .(٣٢) بلا هدف فردي بل يكون هدفه هو هدف الفئة التي ينتمي إليها . وهنا ستنعدم الفردية وهذا ما رفضه نيتشه إذ يجب أن يكون لنا موقف نظيره عن الوجود منفصل عن موقف نظرات الآخرين وموقف من الموجودات ، بأن يكون لدينا حيز من الزمن لتأمل الوجود .

أما ما يتعلق بالطبع الحاد والحسن عند العقول المستعبدة ، فمصدر حدة الطبع نتجت عن عبودية الآراء والتي حولتها العادة الى غريزة ، فيبقى تصرف المرء تحت تأثير بواعث قليلة لكنها لا تتغير أبداً ، وإن أفعال المرء تكتسب منها طاقة كبيرة ، وإذ ما أتفقت أفعال المرء مع مبادئ العقول المستعبدة فإنها تحظى بالقبول ، وهي تؤدي الى راحة الضمير . أما الطبع الحسن عند الطفل يتكون عندما يبدأ المربون بمعاملة الفرد كما لو كان كائناً جديداً ، وهو بالتأكيد كائن جديد ، ولكن يكون عمل المربين تحويله الى نسخة ، وعندما يشرع الطفل بالتمظهر التدريجي لعبوديته للوجود المعطى بصفة نهائية ، وبإنحيازه الى جانب العقول المستعبدة يشرع الطفل في التدليل على إستيقاظ حسه القطيعي ، وهذا الحس هو الأساس الذي سيجعله يكون فيما بعد صالحاً لدولته ولطبقته (٣٣) وهنا سيدعى إنه ذو طبع حسن أو إنه أصبح نسخة من القطيع ولم يخرج عن مبادئ العقول المستعبدة .

فالطبع الحاد ميزة من مميزات العقول المستعبدة ، وإن الشخص الذي يسعى ليتحرر من حدة الطبع سيفقد من تحرره في الوقت نفسه ، ميوله المعيبة والمعيبة ، وستصير سورات غضبه وغيظه نادرة أكثر فأ كثر ، إذ إن إرادته لن ترغب بالحاح إلا في المعرفة وفي وسيلة بلوغها ، أي في تلك الحالة الدائمة التي سيكون فيها أهلاً للمعرفة (٣٤) فالمعرفة هي التي تكسر كل قيود العبودية وهي أيضاً تخفف من حدة الطبع الناتجة من عبودية الآراء . وتربية الإنسان (محيطه) وعامل الزمن الذي يرسخ العادات والآراء .

وليست حدة الطبع وإنعدام الحرية والهدف وحدها ميزة العقول المستعبدة بل إن

مقياس الأشياء عند العقول المستعبدة تعتمد على أربعة أشياء تقول العقول المستعبدة إنها مبررة أولها : إن كل الأشياء التي تدوم هي أشياء مبررة ثانياً: كل الأشياء التي لاتزعجنا وثالثاً: كل الأشياء التي نجني منها بعض الفائدة رابعاً كل الأشياء التي من أجلها قدمنا تضحيات ، فمثلاً تستمر الحرب وبحماس كبير والشعب لها كاره بمجرد ما تقدم التضحيات الأولى (٣٥) وهنا يكون مقياس إختيار هذا الشيء أو ذاك يعتمد على النقاط الأربعة السابقة . والآن السؤال هو عندما يسود المجتمع هذا النوع من العقل كيف يتحرر هذا المجتمع وكيف يتقدم ويتحضر إذ كانت كل إهداف أبنائه منصبة في مكان واحد وليست بالضرورة هي أهداف مفيدة للمجتمع تجعلها متقدمة وحضارياً ، ومن هنا كان لابد من ظهور مفكر حر ولكن المفكر الحر في هكذا مجتمع يعد دائماً ضعيفاً ، خاصة في فعاله . وإن لديه الكثير من البواعث ومن وجهات النظر التي صيرت يده مترددة وغير متمرسة ما هي الوسائل التي ستجعله قوياً نسبياً حتى يستطيع على الأقل أن يثبت نفسه ولا يضمحل سدى ؟ كيف يولد العقل القوي ؟ وكيف تبرز العبقرية ، ومن أين يأتي بالطاقة ، القوة المتينة ، والتحمل والتي بها يسعى الفرد ضد تيار التقليد ؟(٣٦) وكيف تتفجر العبقرية من وسط هذا التقليد ؟

إن هنالك أمور عديدة تساهم في تكوين العبقرية كإساءة معاملة الناس وتعذيبهم ، وزرع الغيرة والحقد والحسد ودفع الناس الواحد ضد الآخر وهنا ستظهر طاقة هائلة ومنها ينبثق نور العبقرية .(٣٧) ويقدم نيتشه أمثلة على الكيفية التي تنبثق بها العبقرية ، فالبراعة التي يحاول بها السجين أن يفر ، أو بصورة أكثر وضوحاً كالذي ضل طريقه داخل الغابة لكنه يجتهد في بلوغ البلدة المنبسطة بالسير في إتجاه معين وبطاقة خارقة ، وهو في بحثه قد يكشف سبيلاً جديداً لا يعرفه أحد وهكذا تولد العبقريات .(٣٨)

ويؤكد نيتشه على مسألة أن الظروف الصعبة والظلم والقهر والعنف هي التي تساهم في خلق العبقرية ، ولهذا فهو يرى أن الإشتراكي في سعيه لتوفير الرفاهية ، فالرفاهية هي في ذاتها ستدمر الأرض التي عليها ينمو الذكاء الكبير ، والفردانية القوية وكل طاقة قوية ، وبمجرد ما يتم تأسيس هذه الدولة ستكون العبقرية قد إستنزفت لذلك من الضروري أن نتمنى أن تحتفظ الحياة بطبعها العنيف وألاّ تكف عن إثارة وتحديد قواها وطاقاتها الفضة (٣٩) ويجب أن يكون للمربي دور فعّال في تعزيز وتدعيم مواهب

الأطفال ، وهذا ما يجب أن تحرص عليه المدرسة ومن الإمور المهمة التي يجب أن تؤكدها وتدعمها أن تحرص على تعلم الطفل الدقة في الفكر ، وثانيها الحذر في الحكم ، وثالثها المنطقية في التفكير وأن تبتعد المدرسة عن كل ما لا يصلح ويتعارض مع هذه الإمور الثلاث السابقة كالدين مثلاً إذا إن واجب المدرسة هو إبراز الشيء المميز في الإنسان العقل والعلم وهم ميزتا الإنسان الساميتين (٤٠) إذ بهما يصل الإنسان الى حقائق يقينية ، ثابتة ، وهو هنا لا يقصد من إبتعاد المدرسة عن الأديان بصورة عامة إذ أن نقد نيتشه منصباً دائماً على القسسة والكنائس وطقوسها .

وأيضاً يمكننا أن نكتشف أصل الكثير من المواهب المتألقة والتي تولدت نتيجة بتر عضو ، أو وجود ضمور أو نقص بارز في عضو ما يوفر فرصه لعضو آخر ليطور مزايا إستثنائية بما أن عليه أن يقوم بوظيفة زائدة على وظيفته (٤١) وقد بحثنا هذا الجانب عند عرض أوجه الشبه بين نيتشه وتوينبي .

ثالثا // مناطق الحضارة :-

يقوم نيتشه بتمثيل توالي الحضارات وفقاً للمناطق المناخية ، والإستثناء هو في أن الحضارات تتولى عوضاً من أن تكون متجاورة مثل المناطق المناخية وهو في حديثه عن مناطق الحضارة يتناول منطقتين هما :-

الأولى الحضارة المدارية :- وهو يشبهها بالمناخ المداري ، من حيث الإنطباعات التي يتركها المناخ المداري مقارنة بالمنطقة الحضارية المعتدلة ، ففيه تناقضات شديدة ، وتعاقب فجائي لليل والنهار وسعير والوان مزهرة ، الظواهر فيه مفاجئة وغامضة ومركبة ، فجائية في العواصف ، وفي كل مكان فيض مفرط في خصب الطبيعة. (٤٢) فهذا التنوع في الإنتاج والتغيرات السريعة في الطقس والفجائية في تعاقب الليل والنهار والعواصف هي تشبه الى حد كبير الحضارة الإغريقية وما تزخر به من تنوع وغزارة في الإنتاج الفكري والإبداع الفني مقارنة بالمنطقة المعتدلة .

إهتم نيتشه كثيراً بالحضارة الإغريقية سماتها ، شعبها ، وفلاسفتها ، وفنها ، وآلهتها ، وأبسط تفاصيل حياتها، فقد أحب نيتشه المجتمع الإغريقي ، وكان يرى في الإغريق أنهم رجال حضاريين ، وإننا نستطيع ان نرى كل ما يحدد في أعيننا سجية

الإغريق ، عن طريق حوارات الفلاسفة من طاليس الى سقراط ، فمن خلال حـــواراتهم وشخصياتهم تلك، تبرز الخطوط الكبرى للعبقرية الإغريقية التي تكلمنا بعبـــارة مقنعـــة ، ولقد كانت أول مغامرة للفلسفة على الأرض الإغريقية ، وظهور الحكماء السبعة ، يشكل سمة مضيئة من سمات النموذج الإغريقي ، فإن لدى الشعب الإغريقي حكماء ، بينما لدى شعوب أخرى قديسين (٤٣) إذ لم يكن الفلاسفة أو المفكرين الإغريق هم من ســـاهم فـــي صنع الحضارة الإغريقية فقط بل الشعب الإغريقي ، أي الشخصية الإغريقيـــة وكيفيـــة التعامل مع المفكر وهنا يؤيد نيتشه هذا القول فيقول :"لقد قيل عن حق إن شعباً ما لم يكن يتميز برجاله العظام بل بالطريقة التي كان يكرمهم بها ويعترف بفضلهم . ففـــي أوقـــات أخرى ، كان الفيلسوف مسافراً وحيداً يمشي صدفة في وسط معادياً وكان إما أن يتـــسلل في هذا الوسط وإما أن يشق لنفسه داخله ممراً وهو منقـــبض الكفـــين . ولكـــن وجـــود الفيلسوف عند الإغريق ليس صدفة ... وإن حضوره هو حضور قائد نبيل يواصل تحذيره "(٤٤) فنموذج شخصية الإغريقي التي جعلت من الفيلسوف في عصرهم مركـــز ثابـــت تدور حوله الكواكب الأخرى ، فالفيلسوف في أوقات أخرى وحضارات لاحقة لـــم يكـــن سوى شخص وحيد في وسط معادي.

أما الفيلسوف في الحضارة الإغريقية لم يكن متنـــزهاً ، وصل صدفة ، ويظهر بلامبالاة تارة هنا وتارة هناك (٤٥) بل أن الإغريق قد منحوا لوجود الفيلسوف شرعية ، فهم وحدهم من لم يكن الفيلسوف في نظرهم مـــذنباً . أمـــا فـــي الحـــضارات الأخـــرى فالفيلسوف مذنباً غير منتظر مخيف (٤٦).

ويرى نيتشه ان أسمى إنجاز الحضارة العالمية هو الفـــن الإغريقـــي للعـــصر البطولي ،والذي تطور بسب تقسيم العمل الذي يميـــز المجتمـــع العبـــودي الإغريقـــي والروماني ،((للحصول على حقل عريض وعميق للتصور الفني فلا بد مـــن وضـــع ألا غلبيه الساحقة في خدمة الاقليه في جميع الأمور التي تتجاوز حاجاتهـــا الفرديـــة ومـــن إخضاعها لضرورات الحياة إخضاعا عبوديا. أما الطبقة المميزة فتتحرر من النضال فـــي سبيل الوجود بفضل فائض العمل الذي تنجزه ألا كثريه كيما تولد عالما مـــن المتطلبـــات الجديدة وتلبي حاجاته وبنتيجة ذلك فانه لابد لنا ان نؤكد ،بقلب مثقل ،حقيقة تبـــدو قاســـية ،ألا وهي ان العبودية تدخل في جوهر الحضارة ،وانه لابد من التشديد مـــن آلام البـــشر

الذين حياتهم شاقة سلفا ،وذلك لإتاحة خلق عالم فني لعدد صغير ألاولمبيين)) (٤٧)

ويبدو من الأمور التي جعلت نيتشه يمجد الحضارة الإغريقية كونها كما يسميها حضارة رجال ، أما ما يخص النساء فيرى إن أكبر مزايا النساء هو أن الرجال يتحدثون عنهن بأقل ما يمكن فيما بينهم ، وكانت العلاقات الأيروسية بين الرجال والمراهقين ، عند درجة تتجاوز فهمنا ، وهي الشرط الوحيد والضروري على هذه التربية الرجولية ، وأيضاً لم تكن مخالطة النساء شيء ثقافي ، وكن النساء مبعدات عن الألعاب والعروض ، وغذائهم الروحي الوحيد النبيل شيء ما الذي يتبقى لهن هي العبادات الدينية – وأيضاً كن يلعبن أدوار أنتيجونة (Antigone) وإلكترا فلان الإغريق كانوا يطيقون ذلك في الفن وإن لم يكونوا يريدونه في الحياة ، فلم يكن للنساء من واجب غير الإنجاب (٤٨) ويبدو أن هذا الموقف من المرأة عند الإغريق قد لاقى إعجاب نيتشه إذ إن موقف نيتشه من المراءة لم يكن إيجابياً فهو القائل في كتابه هكذا تكلم زرادشت : "إذا ذهبت الى المرأة ، فلا تنس صوتك "

ثانيها المنطقة الحضارية المعتدلة : تمتاز هذه المنطقة بالسماء الصافية ولكنها غير مشرقة بتاتاً ، وهوائها نقي يكاد لا يتغير ، وفيه شيء من الرطوبة ، بل شيء من البرد أحياناً (٤٩) فهذه السماء الصافية والتي قد تظهر فيها صفو وبحث عن الحقيقة لكن الحقيقة لا تظهر فيها كما أن الشمس لا تظهر ، والثبات سمات هذه الحضارة التي تختلف عن حضارة المنطقة المدارية .

أما ما يخص التناقض في هاتين المنطقتين أو الحضارتين فيقول نيتشه :"ترى الأهواء الشديدة العنف وقد هزمتها وحطمتها قوة مخيفة هي قوة التمثلات الميتافيزيقية فإنه تتكون لدينا نفس الإنطباع الذي تخلفه رؤية نمور متوحشة تنعصر أمام أعيننا ، في المناطق المدارية نفسها ، بين حلقات أفاعي ضخمة جداً"(٥٠) ففي الحضارة المعتدلة يتم الإنتقال من الفجائية والغزارة ، والتنوع في الإنتاج الى الإعتدال والثبات . ويؤدي زوال الحضارة المدارية الى الإضرار بالفنانين ، وهم يجدون الأخيرين غير الفنانين أشخاص عاميين شيء ما ، ولهذا فنيتشه يرى أن لهم كل الحق في أن يجحدوا التقدم ، لأنه في الواقع يمكننا على الأقل،أن نشك في ما إذا كانت الألفيات الثلاثة الأخيرة شاهدة على حصول تقدم في الفنون. (٥١) ولكن بالرغم مما إمتدت به الحضارة المدارية

من غزارة وتنوع في الإنتاج إلا أن الحضارة المعاصرة كما يسميها نيتشه تحرر الفكر وإزدراء السلطة ، التحمس للعلم ولماضي الإنسانية العلمي ، إنعتاق الفرد وشعلة الصدق والفوز من الظاهر المحض والبحث عن الأثر و (أيضاً شعلة تفجرت في عدد كبير من طباع الفنانين متطلبة منهم الإتقان ، بصفاء أخلاقي كبير ، ولا شيء غير الإتقان في أعمالهم) (٥٢)

وبعد عرض إختلاف الحضارات عند نيتشه وطبيعتها ينتقل الى الإختلاف في طبيعة الإنتاج أي في الثمار فالثمار حسب الفصول فهو يرى أنه من الخطأ الإعتقاد بأن مرحلة جديدة ومتفوقة من مراحل الإنسانية ستجمع كل مزايا المراحل السابقة (٥٣)، أي إن الإنسانية تتقدم دائماً لمستقبل أفضل ، إذ أن لكل فصل ثماره كما أن لكل حضارة نتاجها الخاص بها وإن الإعتقاد بأن الإنسانية سيكون بمقدورها مثلاً ، أن تحقق أسمى أشكال الفن . ذلك أبعد ما يكون عن الصحة إذ إن لكل فصل مزاياه ومفاتنه الخاصة ، وهي تقضي على مزايا ومفاتن الفصول الأخرى ، فإن ما تولد عن الدين بجواره لن يستطيع أن يولد من جديد بعد إن يتم تدمير الدين . وأما ما يحصل من أنه قد يحمل بعض الأبناء التائهين والمتأخرين على توهم شيء بشأن هذا الموضوع إلا إنها لا تبرهن على وجود قوة قادرة على خلق فن جديد (٥٤)

ويرى نيتشه أن الإختلافات في مناخات الحضارات يمتد ليصل الى إختلاف في التفكير فكل مناخ يمكن أن يكون مضر بهذا الجسم او ذاك . ويشبه نيتشه التاريخ في مجموعة وبصفته كمعرفة من مختلف الحضارات ، هو علم الصيدلة وليس العلم الطبي نفسه ، وما نفتقر إليه من وجهة نظر نيتشه هو الطبيب الذي يستخدم الصيدلية لإرسال كل واحد الى المناخ الذي يناسبه تماماً بشكل مؤقت أو دائم . وإن مسألة العيش في حدود حضارة واحدة غير كاف كدواء شمولي . وبسبب ذلك قد يموت كثير من أجناس الناس المقيدين جداً والذين لا يستطيعون التنفس في جو هذه الحضارة بشكل صحي . إذ ينبغي مدهم ، وعبر التاريخ ، بالهواء والحفاظ عليهم (٥٥)

رابعا // مجرى الحضارة :

لقد تعددت النظريات في سير الحضارة فبعضهم رأى أنها تسير في طريق التدهور ، وآخرون يرون أنها تسير في دورات مقفلة تكرر نفسها على الدوام ، وثالث يرى أن الحضارة تسير نحو التقدم (٥٦) اما نيتشه فيرى أن الحضارات تسير في طريق التدهور ، وأيضاً يرى أنها تسير في دورات مقفلة وهو له تأثير واضح على أصحاب الرأي الثاني القائل بأنها تسير في دورات مقفلة تكرر نفسها على الدوام .

وهنا لابد من إستعراض الآراء السابقة وهي :-

أولهـــا :-

فكرة تدهور الحضارة / أي أن الحضارة سائرة الى التدهور التدريجي ، وهنا لابد من أن نتسائل أين القمة التي بدأ منها الإنحدار بالنسبة الى نيتشه والجواب هي الحضارة اليونانية القديمة فالإنسانية قد بلغت قمتها في العصر اليوناني القديم أو في فترة من فتراته على الأقل ، وإن كل ما جاء بعد تلك الفترة يعد تدهوراً (٥٧) وهذا الرأي لنيتشه ليس بغريب فقد عرضنا سابقاً تأثره بالحضارة الإغريقية ، وبالرغم من أن المجتمع اليوناني لم يتسنى له مثلاً هذا البناء الشامخ الذي بناه اليونانيون لو لم يكن المجتمع اليوناني في أساسه مجتمع رق ، فكما قام العبيد في مصر ببناء الإهرامات وقد مات الكثير منهم بسبب سوء حالهم فكذلك اليونانيون لم تتوفر لهم القدرة على التأمل الا على حساب جهد الأرقاء وكدهم فمثل هذه الحضارات لم تبنى إلا بجهد وكد العبيد وعلى حسابهم . وقد يعتبر هذا الجانب سيء لدى البعض أما بالنسبة لنيتشه فهي جوانب إيجابية ، فالبشر ليسو سواء عند نيتشه فهنالك سادة وهنالك عبيد فالتقدم في سير الحضارات شيء ميؤس منه عند نيتشه .

قد يكون هذا السبب من الأسباب التي دعته لنقد الديانة المسيحية ووصـــفها بأنها صممت لتلبي رغبات القطيع المنحطين ،ولقد نجحت في فساد الأكثر رجولة (٥٨) فالعالم من وجهه نظر نيتشه .مبني على فكرة ان الحياة في صراع ،وقد استمد هذه الفكرة من نظرية دارون التي بقاء الفرد فيها يمكن ان يناله فقط من خـــلال تـــدمير الآخـــرين ،والذي فيه الخداع والقسوة والعضلات وحدها هي المفيدة (٥٩)ولقد أشرنا في موضوع

نشوء الحضارات الى ان نيتشه قد جعل من القسوة والقوة من الشروط التي تساهم في صنع الحضارة ولكن بظهور المسيحية ودعوتها لنصرة الضعفاء ومناداتها بالاخوة ونبذ الأنانية وقهر الغرائز المتسلطة ، وقهر الوعي وتدمير الذات وانعدام المتعة رؤية الجمال ومتعه المشاعر (٦٠)فبمساندة الضعفاء ضد الأقوياء ودعوتها الى المساواة فهي تقضي هنا على الطبيعة واذا قضت على الطبيعة اصبح البشر جميعهم متساوون في الحقوق والوجبات ولن يكون هناك أفضلية سوى للضعفاء .ومن هنا نصل ألي حقيقة نهائية ان المسيحية من خلال مادعت له من كره للعالم وأدانه للعواطف والخوف من الجمال و الاعتقاد بحياة أخرى افضل وكره لهذا العالم (٦١)ولهذا فان المسيحية من وجهة نيتشه قد قضت على كل إمكانية خلق حضارة متفوقة ،فمن الممكن ان تولد حضارة هنا او هناك ولكنها لن تتفوق كتفوق الحضارة الاغريقيه.

ثانيـــــاً :

تسير الحضارة في دورات مستقلة وحلقات مقفلة ومن القائلين بهذا الرأي إشبنجلر فهو يرى أن التاريخ البشري ينقسم الى "حضارات" لكل منها حياة فردية خاصة ، وهي تسير في دورات مقفلة ، فهو يشبهها بالكائنات العضوية ، فكما أن للإنسان دورة حياة ، تبدأ بالطفولة ، والشباب ، ثم نضج وتدهور . ولكل هذه المراحل مدة محددة فالحضارة كذلك تمر بهذه المراحل . أو يشبه دورة الحضارة ، كدورة الفصول الأربع ، فلكل حضارة ربيع وهو مرحلة إقطاعية تقوى فيها سيطرة الإسطورة والدين ، وتسود النظم الدينية في الحياة ، ويزدهر الفن التلقائي ، ويلي ذلك الصيف وهو فترة الثقافة الرفيعة ، التي ترعاها الإستقراطية النبيلة وبعد الصيف الخريف يتميز في المجال العقلي التحليل الهادي الرزين وضخامة الإنتاج الفلسفي والرياضي وأخيرها الشتاء وهو فترة المدنية التي تكون الإمكانات العميقة فيها إستنفذت فلا تبقى سوى إمكانية التوسع والإمتداد أي الحروب والغزو وهذه الفترة ذات طابع دكتاتوري يسميها القيصرية (٦٢) وهذه المراحل أو الفصول الأربعة تمر بها كل الحضارات جميعها كحضارة وادي النيل والرافدين وحضارة الصين جميعها مرة بفصل الربيع وسيطرة النظم الدينية والفن ثم فترة صيف الحضارة وبعدها خريفها فشتائها .

ويظهر هنا تأثر أشبنجلر بفكرة العود الأبدي عند نيتشه إلا أن نيتشه قد عرض الفكر بوصفها عقيدة ينبغي الإيمان بها ، إذ أنها تحتوي على معان سامية ، ولقد سعى لأن يأتي ببراهين منطقية مبنية على حقائق العلم في عصره لتأكيدها وبحث عما يؤيدها من النظريات العلمية السائدة ، وجاء اشبنجلر فنقل الفكرة ذاتها الى مجال التاريخ البشري . وبدلاً من أن تصبح الدورات كونية شاملة ، كما كانت عند نيتشه ، أصبحت حضارية مرتبطة بعصر معين ومجتمع معين من المجمعات البشرية . ولقد إكتفى إشبنجلر بأن اقرها فحسب . وبينما يبني نيتشه رأيه في العود الأبدي على تفسير شامل لفكرة العلية ، فإن أشبنجلر يستبدل بفكرة العلية فكرة المصير Desting ، فالمصير هو القوى المتحكمة في سير المجتمع والحضارة ، أما العلية فهي فكرة تنتمي الى مجال العلوم الطبيعية ، وتسمح لنا بالتنبؤ بما سيحدث في ذلك المجال بينما لا تصلح تلك الفكرة للتطبيق في مجال العلوم الإجتماعية (٦٣) ولهذا أستبدل إشبنجلر فكرة العلية بفكرة المصير ، إلا أن ذلك لا يلغي تأثر أشبنجلر بفكرة نيتشه في العود الأبدي وهي الفكرة التي أخذها نيتشه من الفلسفة اليونانية .

ويبدو أن نيتشه يؤيد القول بأن الحضارة تدور في حلقات مقفلة فهو يرى أن الإنسانية ربما هي مرحلة من مراحل تطور جنس حيواني معين له مدة نمو محدودة ، فالانسان الذي تطور من قرد سيعود قردا ، اذا كما ادى توسيع المسيحية الى انخفاظ الحضارة الرومانية وتبشيع كامل للانسان في الامبراطورية

الرومانية ، ويمكن ان تكون عاقبة الحضارة الارضية في النهاية الا نحطاط وتبشيع فظيع جدا للانسان ، لينحط في النهاية الى حيوان ثم الى قرد (٦٤) وهنا نجد ان نيتشه يقول بالنظريتين السالفتين فهو يرى ان الانسانية تسير نحو الانحطاط والهاوية ولكنه في الوقت ذاته يرى ان الانسان بدأ قرد وسيعود الى هذه البداية أي انه في حلقة مقفلة فهو يجمع بين كلتا النظريتين .

ثالثـــا :-

ان الحضارة تسير نحو التقدم : ونيتشه لا يؤيد القول بان الحضارة تسير نحو التطور والتقدم بل العكس ، ولكنه عندما قال بان الانسان تطور من قرد وسيعود قردا ،

اننا نستطيع تلافي هذه النهاية اذ اننا نستطيع التوكيد في هذه الاحتمال فقد نستطيع تدارك انتهاء المستقبل الى مثل هذا الامر (٦٥) فأننا قد لا نعود الى نفس البداية ولكننا لن نتقدم اكثر . واخيرا نستطيع القول ان نيتشه كان يؤيد القول بان الحضارة تسير نحو التدهور وهي تدور في حلقات مقفلة لكنه لم يقل ابدا بان الحضارات سائرة على طريق التقدم .

واخيرا يرى نيتشه ان الذي يكون فكره واضحة عن مشكلة الحضارة ، فهو منذ تلك اللحظة لتكوين الفكر ، يبقى يعاني من احساس كمن ورث ثروة تم تجميعها بطرق غير شرعية ، او يكون احساسة كاحساس الامير الذي اعتلى الحكم بفضل اعمال العنف الذي قام بها اسلافه ، وان كمية الطاقة وارادة الحياة والفرح التي يحددها لثروته غالبا ما يوازيها شعور بالملل كبير ، فهذا الامير لا يستطيع نسيان اصله . ويتذكر ما قام به اسلافة ، وهو ينظر الى المستقبل بكأبه ، فهو يعرف ان ذريته ستشعر وستعاني من هذا الاحساس (٦٦) ويبدو ان مصدر هذا الاحساس اتجاه الحضارة له عدة اسباب ، فأولها في رأي نيتشه لقد بنيت الحضارة اولا من خلال القوى الاكثر همجية وهي عادة من فتح الطريق امام الحضارة وعملهم ضروري فبواسطته تتمكن الحضارة من تشييد ننزلها ، فهولاء القوى الهمجية هم مهندسوا الحضارة وبناتها المعماريون.

وثانيها عندما يتحدث نيتشه عن شكل الحضارة فهو يشبهها بالجرس فالجرس في صنعة نحتاج الى قالب له شكل الجرس لياخذ المزيج الذي نصنع منه الجرس شكل القالب وقد حدد نيتشه هنا المادة التي تتكون منها قالب الحضارة ، وهي مادة فظة عامية فهي نفاق وعنف وتوسع غير محدود يقوم به الافراد وكل الشعوب ، وكل لحسابة الخاص ، وهنا هو قالب الحضارة ، اما الوقت الذي يتجمد فيه السكب ، هو الوقت الذي يتماسك فيه الغرائز الصالحة المفيدة وتعود الروح النبيلة بالانتشار في كل مكان بحيث لن تعود هناك حاجة للجوء الى الميتافيزيقيا ، او لاي شكل من اشكال العنف والقساوه التي تشكل الرابط القوي بين انسان وانسان وبين شعب وشعب (٦٧) فالعنف والقوة والتسلط هي المحرك لكل الحضارات وهي الصانع لكل المواهب فالقالب الذي اخذت فيه الحضارة شكلها هو عبارة عن العنف والفظاظة والنفاق ، فالحضارة كما يبدو لا تأخذ شكلها النهائي الا بالقوة والعنف.

خامسا // الحضارة المتفوقة :-

يرى نيتشه ان الحضارة المتفوقة هي الحضارة التي تستطيع تزويد الانسان بمخ مزدوج ، أي بما يشبه مخين ، أحدهما لتمييز العلم ، والأخر لتمييز ما ليس علما (أي الميتافيزيقيا والفن والدين) ويجب ان يكون هذين المخين متقابلين دون تطاول احدهما على الاخر وهما يكونا قابلين للانفصال (٦٨) في الوقت ذاته كتؤمين ، فالمخ الاول يكون مسؤول عن مصدر الطاقة ، فاهمية هذا المخ في الطاقة الروحية التي يولدها كل من الميتافيزيقيا والدين والفن ، فالدين يولد طائفة من الاحاسيس فهي كنهر فرط تنامية فانه لا يفنى و يظهر ليغزوا ممالك جديدة (٦٩) ويرى نيتشه ان هذا المخ ضروري بالرغم مما يحويه من افكار بليده او اوهام فهي تساهم في رفع الطاقة الروحية وتولد المتعة فالعلم يجرد الانسان من الكثير من المتعة ، أي ان العلم يمنح متعه اقل (٧٠) ولهذا فيعد المخ الاول ضروري فهو الذي يدفعنا ويحثنا لطلب العلم ويقدم متعه كبيرة .

اما المخ الثاني فهو مسؤول عن ما يحصى العلم ، فهو منظم للمعارف ومطور لها وهو يقوم بتدارك النتائج الضارة والخطيرة التي قد تنجم عن التسخين المفرط (٧١) عن طريق الاحاسيس الدينية والفنية ، فهذا المخ مسؤول عن تنظيم احاسيسنا وتوظيفها بالشكل الذي يخدم الانسانية والحضارة .

وأيضا يرى نيتشه ان المتعة في العلم مقتصرة على من يخصص له عمله وابحاثه وهو في الوقت ذاته يمنح القليل منه فقط لمن يحفظ نتائجه . وبما ان كل حقائق العلم الكبير تصبح بمرور الوقت شيئا فشيئا تافهه وعاميه ، فان هذا القليل من الرضى يختفي لهذا الم نعد منذ وقت طويل ، نعثر او نجد متعه في حفظ جدول الضرب (٧٢) ولهذا فلا يمكن للعقل العلمي ان يكون محفزا ودافعا للبحث لوحدة ، اذ لا بد من وجود مصدر لطاقة روحية كبير تدفع العقل العلمي للبحث اكثر ولمقاومة كل الصعوبات والعقبات من الامور التي تجعل الحضارة متفوقة وجود الطبقية في المجتمع ، طبقة العبيد المسؤولة عن كل الاعمال الشاقة وطبقة السادة اصحاب الاعمال الحرة او العاطلين ، وايضا تتطلب الحضارة وجود ضحايا بشرية .

نتائـــــج البحث :-

١-ان نظرية نيتشه في نشؤ الحضارة تقترب كثيرا من نظريـــة تـــوينبي فـــي التحـــدي والاستجابه ، فمن اوجه التشابه عامل القصاص (النقم) عند توينبي وهـــو قـــائم علـــى تعرض جماعة للعقاب او للقصاص من جماعة متسوده او اقوى ، وهذا ما وضحه نيتشه عندما جعل من العمالقة او الاقوياء الاشرار هم من يمهد للحضارة ، وايضا طرح توينبي لمسالة الفرد الذي يعاني من نقص حاسة معينه كالبصر فهو يسعى لتعويض النقص الذي عاناه من خلال تنميه حواس اخرى فهو يجاهد لينجح في تطوير حاسة اخرى وهـــذا مـــا طرحه نيتشه قبله أيضا. فتوينبي يؤكد على وجود قوه متحكمة مـــسيطرة توجـــه تحـــدي للضعف وتبقى الاستجابة لهذا التحدي مختلفة قد تكون ايجابية او سلبية وهذا ما قاله نيتشه قبله في مذهبه في ارادة القوه . فنظرية التحدي والاستجابه هي صورة لما قال به نيتـــشه قبل توينبي .

٢-يرى نيتشه ان الحضارة تسير نحو التدهور وليس التقدم .

٣-ارجع العديد من المفكرين نشأة الحضارات الى الجانب المادي واخرون الى الجانـــب المعنوي او الروحي ، وهنا اتفق نيتشه مع اشفيستري وكانت في اثر العامـــل الاخلاقـــي ولكنه اختلف معهم في نوع الاخلاق الصانعة للحضارة وهي العنـــف والقـــسوة والظلـــم والقهر هي المحفز الاساسي للتقدم .

٤-قدم نيتشه في بحثه لموضوع الحضارة اهم صفات المربين والمدرسين وما يجـــب ان تركز المدرسة عليه في بناء الفرد اذ يجب ان يكون للمربي دور فعال في تعزيز وتدعيم المواهب للاطفال ، وهذا يجب ان يحرص عليه المدرس أي يحرص على التدعيم الدقـــة في تفكير الطفل ، والحذر من الحكم والمنطقية في التفكير والابتعاد عن كل ما لا يـــصلح للطفل وان يؤكد على شئ واحد هو العقل والعلم .

٥-صنف نيتشه الحضارات وفقا لمناطق مناخيـــة والفـــرق بـــين المنـــاطق المناخيـــة والحضارات فالمناطق الحضارية متواليه بدلا من ان تكون متجاورة ويتوقف كثافة وتفوق الانتاج على المناطق المناخية وعلى هذا الاساس تتوزع الحضارة فالاكثر انتاجـــا هـــي المدارية وهي الحضارة الاغريقية التي تميزت بوفرة الانتاج وتنوعه وتفوقه .

٦-حاول نيتشه أن يقدم تصورا عن كيفية تكون الحضارة المتفوقة فيرى انها تبدأ عندما يمتلك الإنسان مخين في بنيه واحد أولها يختص باليه العلم والأخر بما هو ليس بعلم كالميتافيزيقيا والدين والفن فهي التي تشحن وتزود الانسان بطاقات كبيرة ، اذ ان العلم لوحدة غير قادر على اعطاء متعة ولا يحصل على المتعة في العلم الا المستكشفين وهي متعة تدوم لفترة قصيرة فهي ليست دافع قوي للبحث في العلم لذا فمن الضروري ان يكون لدينا مخين .

٧-يرى نيتشه أن الحضارة تسير نحو التدهور وليس التقدم وذلك لأسباب عديده منها انه يرى ان أسباب الانحطاط يكمن بصورة رئيسيه في الفكر العامي للعصر كالدعوه إلى الديمقراطية وما قامت به المسيحية،

٨-ان قيام حضارة معينه يتطلب وجود طبقتين طبقه مسؤولة عن الأعمال الشاقة وهي طبقه الشغيله وطبقه أصحاب الأعمال الحرة أو العاطلين عن العمل .

٩-ربما يوجه إلى نيتشه سؤال ،فإذا صحت دعوته بان الحضارة تتكون عندما تحتفظ الحياة بطابعها العنيف ،فلماذا لم تتحضر الحيوانات التي كانت ومازالت تحتفظ بطبعها العنيف ،وهل ممكن ان تستمر أي حضارة أو تقام دون ان يكون التعاون والحب والتسامح وكل الصفات النبيلة ركنا من اركانها٠

١٠-ربما يوجه إلى نيتشه سؤال أخر وهو كيف تكون سير الحضارات في حلقات مقفلة و من ثم يقول ان الإنسان الذي بدأ قرد سيصبح يوما سوبر مان .

المصادر والهوامش

1. The Encyclopedia Americana International, ,Vol.7,Civilization , Americana corporation, U.S.A ,1968,p.1.
2. Encyclopedia Religion and Ethics , Vol. . III, (New York, (Edinburgh. T. & .I. Ciark.19, p.683.
3. The Encyclopedia of philosophy ,Vol. . 2. (New York Macmillan pubisnig CO., 1978 , P. 275.

٤) هنتغتون،صموئيل،صدام الحضارات،ترجمة د.مالك عبيد أبو شهيوه و د.محمود محمد خلف ،الدار الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى،١٩٩٩ ،ص١٠٥ _١٠٦.

****Kulter** كلمة المانيه تعني الثقافة أو الحضارة .شراجلة ،جوتس،قاموس ألماني عربي ،مكتبة لبنان ،بيروت ،١٩٧٧،ص ٧٢٤.

٥)اشفستري ، البرت ، فلسفة الحضارة ، ترجمة عبد الرحمن بدوي ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر ، مطبعة مصر ، ص٣٧ .

٦) نيتشه ، فردريك ، اصل الأخلاق وفصلها ، ترجمة حسن قبسي ، المؤسسة الجامعية للدراسات والشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٨١ ، ط١ ، ص٣٧ .

7) Nietzcshe, Friedrich, The will to power, trans. by Walter Kaufmann and R.J.Hollingdal , 1901,Database Online ,(Information-Network) p. 871 .

٨)كامل ،فؤاد، الحضارة والإنسان،مركز كتب الشرق الأقصى ،ط٢،ب.ت،ص٤٣.

٩) نيتشه ، فردريك ، انساني مفرط في انسانيه ، ترجمة محمد الناجي ، افريقيا الشرق الاوسط ، بيروت ، ١٩٩٨ ، ص١٢٨ .

١٠) المصدر السابق ، ص١٢٧ .

١١) المصدر السابق ، ص١٢٧.

١٢) المصدر السابق ، ص١٢٧.

١٣) المصدر السابق ، ص١٢٨ .

١٤) نيتشه ، اصل الأخلاق وفصلها ، ص٣١ .

١٥) عبيد ، اسحق ، معرفة الماضي هيرودوت الى توينبي، ط١ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨١ ص١٢٧ .

*** السيكلوبيون Cycolope : –عملاق اسطوري له عين واحدة وسط الجبين .

١٦) نيتشه ، أنساني مفرط في انسانيته ، ص١٣٩ .

١٧) المصدر السابق، ص١٣٦ .

١٨) عبيد ، المصدر السابق ، ص١٢٨ .

١٩) توينبي، ارنولد ، مختصر دراسة التاريخ ، ترجمة فؤاد محمد شبل ،ج١ ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ، القاهرة ط١ ، ١٩٦٠ ، ص٢١٠ .

٢٠) المصدر السابق ، ص٢١٠ ، ٢١١ .

٢١) نيتشه ، انساني مفرط في انسانيته ، ص١٢٧ .

(٢٢) المصدر السابق ، ص١٢٨ .

٢٣) توينبي ، مختصر دراسة التاريخ ، ص١١٥

٢٤)المصدر السابق ،ص١١٥ ، ١١٦ .

(٢٥)هاشم يحيى الملاح واخرون، دراسات في فلسفة التاريخ ،مديريه دار الكتاب للطباعة والنشر ،الموصل ،١٩٨٨ ،ص٢١٤ .

(٢٦)نيتشه ، انساني مفرط في انسانيته ، ص١٢٨ .

٢٧)المصدر السابق ، ص١٣٢ .

٢٨) المصدر السابق ، ص١٢٩ .

٢٩) المصدر السابق ص١٢٩.

٣٠)المصدر السابق ، ص١٢٩ .

٣١)المصدر السابق ، ص١٢٩ – ١٣٠ .

٣٢)المصدر السابق ، ص١٥٧ .

٣٣)المصدر السابق ، ص١٣٠ .

٣٤) المصدر السابق ، ص١٥٨ .

٣٥) المصدر السابق ، ص١٣١.

٣٦) المصدر السابق ، ص١٣٠-١٣١ .

٣٧) نيتشه، ما وراء الخير والشر (مختارات)،ترجمه محمد عظيمة،ب٠ت،ص٢٧ .

٣٨) المصدر السابق،ص٢٧.

(٣٩)نيتشه، ، أنساني مفرط في أنسا نيته ، ص١٣٣ .

٤٠) المصدر السابق ، ص١٤٩ .

٤١) المصدر السابق ، ص١٣٣ .

٤٢) المصدر السابق ، ص١٣٤.

٤٣) نيتشه ، فردريك ، فلسفة العصر المأساوي الإغريقي ، ترجمة د.سهيل القش ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٨٣ ، ص٤٢

٤٤) المصدر السابق ،ص٤٢.

٤٥) المصدر السابق ، ص٤٣ .

٤٦) المصدر السابق ، ص٤٣ .

٤٧)أوديف ،سبستيان،على دروب زرا دشت ،ت.فؤاد أيوب،دار دمشق ، ط١، دمشق ، ١٩٨٣، ص ٣٠ .

٤٨) نيتشه ، انساني مفرط في انسانيته ، ص١٤٤ ، ١٤٥ .

٤٩) المصدر السابق ، ص١٣٤ .

٥٠) المصدر السابق ، ص١٣٤ .

٥١) المصدر السابق، ص١٣٤ .

٥٢) المصدر السابق، ص١٣٤ .

٥٣) المصدر السابق، ص١٣٤ .

٥٤) المصدر السابق، ص١٣٤ .

٥٥) نيتشه ، ماوراء الخير والشر ، ص٩٨ .

٥٦) كامل ،فؤاد ، الإنسان والحضارة ، ص٤٣

٥٧) المصدر السابق،ص٤٣

58) Brnton , Crane , Nietzcshe , ((New York: Harper, Row pubishes , 1965 , p.102.

59) (Jones,W.T.,A History of western philosophy,Vol.ll(Burling: Harcourt , Brace & word INC.,1952)p.929.

60) David son, Robert .F., Philosophies Men live By(San Franc-(isco : Holt, Rinehart and winston,1952)p.210.

61) Nietzcshe, Friedrich, , Ecce Homo :Form philosophy of Nietzcshe, ,(New York : Modern Library,INC.,1954)p.941.

٦٢) كامل، فؤاد، الإنسان والحضارة ، ص٥١.

٦٣) المصدر السابق ،ص ٥٧ .

٦٤) نيتشه ، أنساني مفرط في انسانيته ، ص١٣٩ .

٦٥) المصدر السابق، ص١٣٩.

٦٦) المصدر السابق ، ص١٤٠.

٦٧) المصدر السابق ، ص١٣٨ ،١٣٩.

٦٨) المصدر السابق ، ص١٤١.

٦٩) المصدر السابق، ص١٤١.

٧٠) المصدر السابق، ص١٤١.

٧١) المصدر السابق، ص١٤١.

٧٢) المصدر السابق، ص١٤١.